هدايات القرآن في بناء الإنسان وأركانه

د. عبد الله علي سالم عبد الولي
أستاذ الحديث المساعد بجامعة القرآن الكريم – اليمن – حضرموت– المكلا
المملكة المغربية

ملخص الدراسة

تهدف هذه الدراسة الموسومة ب: (هدايات القرآن في بناء الإنسان وأركانه)، إلى معرفة الهدايات القرآنية المؤدية إلى معرفة البارئ سبحانه، وبيان اهتمام القرآن ببناء الإنسان، عن طريق العلم والعقل والتعرف على حقائق الكون، ومعرفة الأساسات القرآنية التي اعتمدها القرآن في بناءه للإنسان.

واحتوى البحث على مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة، فالمقدمة خصصتها للحديث باختصار عن أهمية البحث وأهدافه ومنهجه وخطته، وأما التمهيد فجعلته للتعريف بمفهوم مصطلحات البحث، وجعلت الفصل الأول للحديث عن الهدايات القرآنية والثاني للحديث عن أساسات بناء الإنسان، وفي الخاتمة ذكرت أهم النتائج والتوصيات وذكر أهم المصادر والمراجع.

وقد سلك الباحث في دراسته المنهجين التاليين:

الأول: المنهج الاستقرائي وذلك من خلال الاستقراء والنظر في آيات القرآن والوقوف على المواضع المختصة ببناء الإنسان.

الثاني: المنهج التحليلي وذلك من خلال التحليل للآيات وفق المنظور القرآني في بيان هدايات وأساسات بناء الإنسان.

ووصل البحث إلى نتائج عدة منها:

- المنهاج الوحيد لبناء الإنسان من جميع جوانبه هو منهاج القرآن فهو يملك عدة خصائص لبنائه تميز بها عن سائر المناهج الأخرى.
- التمسك بقيم القرآن وهداياته، يعتبر من أهم العوامل التي تساعد في تقدم الإنسان ورفع كفاءته، وتهذيب سلوكه.
- ظهر من خلال البحث أن القرآن الكريم أشار إلى أهم أساسات بناء الإنسان وهي العلم والإيمان والأخلاق.

كما أوصت الدراسة بأن يكون البناء القرآني محور اهتمام المؤسسات لبناء الإنسان، وتربية الأجيال على القيم التي رسمها القرآن الكريم.

زيادة التركيز على الهدايات القرآنية، والوقفات التدبرية؛ لصناعة الإنسان المتميز حفظًا ومنهاجًا وأخلاقًا.

ABSTRACT

This study entitled: *Guidance of the Qur'an in Building the Human Being and Its Pill*ars, aims to understand the Qur'anic guidance that leads to the knowledge of the Creator. In addition, it aims to highlight the Qur'an's focus on human development through knowledge, reason, and understanding the truths of the universe, as well as the Qur'anic foundations it relies on for building humanity.

The research includes an introduction, a preamble, two main sections, and a conclusion. The introduction briefly discusses the importance of the research, its objectives, methodology, and outline. The preamble defines the concepts used in the research. The first section discusses the Qur'anic guidance, while the second covers the foundations of human development. In the conclusion, the main findings and recommendations are presented, along with key sources and references.

The researcher followed two methodologies in the study:

First: The inductive approach, which involves examining the verses of the Qur'an and focusing on the specific topics related to human development.

Second: The analytical approach, which involves analyzing the verses from the Qur'anic perspective to clarify the guidance and foundations of human development .

The research reached several conclusions, including:

- The only comprehensive method for building the human being from all aspects is the Qur'anic method, which possesses unique characteristics that distinguish it from other approaches.
- Adhering to the values and guidance of the Qur'an is one of the most important factors that help in human advancement, enhancing capabilities, and refining behavior.
- The research revealed that Qur'an emphasizes the key foundations of human development, which are knowledge, faith, and ethics.

The study also recommended that Qur'anic development be the focus of institutions for building individuals and nurturing generations on the values outlined in the Holy Qur'an.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن القرآن الكريم يُعَدُّ كتاب صلاح وهداية وإرشاد، وهذ الحقيقة مؤكدة بنصوص شرعية، تنطلق من قوله تعالى: (إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) [الإسراء: ٩]. هكذا جاءت الآية على وجه الإطلاق فيمن يهديهم وفيما يهديهم، فيشمل الهُدى أقوامًا وأجيالًا بلا حدود من زمان أو مكان، ويشمل ما يهديهم إليه كل منهج وكل طريق، وكل خير يهتدي إليه البشر في كل زمان ومكان؛ فلذا سعى المنهج القرآني إلى بناء الإنسان وتزويده بما فيه كماله، ويشمل ذلك جميع الجوانب والمجالات؛ ليصبح الإنسان مؤهلًا وقادرًا على تأسيس حضارة شامخة وممارسة مهمة الاستخلاف.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

-معلوم أن شرف العلم مبنيٌّ على شرف المعلوم، ولا شيء أشرف وأجل من القرآن، فخير ما بذلت فيه الجهود، وصرفت فيه الأعمار الاشتغال به وفهمه وتدبره. كما يتطرق البحث إلى موضوع بناء الإنسان من خلال القرآن الكريم، ولا شيء في الوجود أكرم على الله من الإنسان.

-كون بناء الإنسان من أعظم مقاصد القرآن، وببنائه يتم بنا الأوطان، مما يضفي عليه أهمية بالغة.

-إن بناء الإنسان بناءً متكاملًا، بعيدًا عن الانزواء والجهالة؛ خدمة للحياة بكل متطلباتها.

-إن المسألة متعلقة بمصير الإنسان، وبنا الإنسان لا يكون إلا على منهج وضعه من هو أعلم منه.

أهداف البحث:

1-تسليط الضوء على قضية مهمة من قضايا القرآن الكريم، ألا وهي الهدايات الإيمانية المؤدية إلى معرفة البارئ سبحانه.

2-بيان اهتمام القرآن ببناء الإنسان وجعل من أولى دعائم بنائه الإيمان بالله عن طريق العلم، وانهاض العقل؛ للتعرف على حقائق الكون.

3-الوقوف على أهم أساسات بناء الإنسان ومعرفة واستنباط أساسات بنائه التي اعتمدها القرآن.

مشكلة البحث:

تنطلق مشكلة هذه الدراسة من تأمل حال الإنسان المسلم كفرد وكمجتمع، والنظر في تدني مكانته وانجازاته، في حين يتوقع أن يكون في المقدمة؛ بسبب منهج الهداية الذي تميَّز به عن غيره من البشر، المنهج الذي كرَّم الإنسان، ويهديه للتي هي أقوم، وبناءً عليه يطرح سؤالًا جوهريًا:

ماهي هدايات القرآن التي تساعد في بناء الإنسان؟

ثم ماهي الأساسات التي يقوم عليها بناء الإنسان المنطلقة من هديِ القرآن؟

الدراسات السابقة

لقد تبين من خلال البحث أن هذا الموضوع قد تم طرقه من عدة زوايا واتجاهات، فمن الباحثين من طرقه من ناحية فكرية، وآخر من ناحية تربوية وغيرها، فمن هذه الدراسات:

-القرآن ومعادلات صناعة الإنسان/ سليمان الدقور، وهو كتاب صدر في الأردن سنة 2015م، ويبحث دور الإنسان ومهمته في الحياة وفق الرؤية القرآنية.

-الطبيعة الإنسانية في الإسلام مدخل لدراسة الشخصية المسلمة، مظاهر البناء، فعاليات السلوك، عبدالودود مكرم، وهو مقال منشور بمجلة كلية التربية جامعة المنصورة ج: 27، 1995م، ركز فيه صاحبه على معالم الشخصية المسلمة، باعتماد أسلوب فلسفي تحليلي، دون مرجعية كتب التفسير.

منهج البحث: اعتمد الباحث المنهج الاستقرائي؛ بغرض تتبع وجمع الآيات التي تطرقت إلى جوانب بناء الإنسان، وزيادة على ذلك، استخدم الباحث المنهج التحليلي لتحليل النصوص المجموعة، وملاحظة السياق الذي وردت فيه، واستنباط جوانب البناء القرآني للإنسان.

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من المقدمة والتمهيد ومبحثين وخاتمة وفهرس المصادر والمراجع.

المقدمة: وتتضمن أهمية البحث وأسباب اختياره وأهدافه ومنهج البحث وخطته.

التمهيد: مفهوم هدايات بناء الإنسان وأركانه.

المبحث الأول: هدايات بناء الإنسان.

المبحث الثاني: أركان بناء الإنسان.

الخاتمة: وتشمل النتائج والتوصيات.

التمهيد: مفهوم هدايات بناء الإنسان وأركانه

أولا: مفهوم الهدايات لغة واصطلاحًا

أ) الهدايات لغة: الهُدى والهداية مصدران لقولهم: هدى يهدي، وهما مأخوذان من مادّة (هـ د ى) الّتي تدلّ على أصلين: أحدهما: التّقدّم للإرشاد، والآخر: بعثة لطف، قال الأصمعي: "هذا يهديه في الدين هدى، وهداه يهديه هداية إذا دلّه على الطريق"[1]. وقال الكَفَويُّ: الهداية هي عند أهل الحق الدلالة على طريق من شأنه الإيصال"[2]، قال الجرجاني: "الهداية الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب، وقد يقال: هي سلوك طريق يوصل إلى المطلوب"[3].

ب) الهدايات اصطلاحاً

الهدايات جمع هِداية، وهي بمعنى الإرشاد، فهي الدلالة بلطف على ما يوصل إلى المطلوب.

والهُدى والهداية بمعنى واحد، وقد جاء في القرآن بمعنيين:

أحدهما: هديُ بيان ودلالة، وهذا هو الهدي لجميع المكلفين، وهو الهدي المضاف إلى الرسل، كما قال تعالى: (وَهَدَيْنَاهُ ٱلنَّجْدَيْنِ) [البلد: ١٠].

(1) تهذيب اللغة، الأزهري 6/ 380.

(2) الكليات، الكفوي 2/ 57.

(3) التعريفات، الجرجاني، 319.

والهدي الثاني: هديُ تأييد وتوفيق، وهو هدي الله للمؤمنين، وهو الهدي الذي لم يجعله الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولا إلى غيره من الرسل، بقوله تعالى: (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ) [القصص: ٥٦].

فيمكننا من خلا ما سبق أن نعرف الهدايات القرآنية بأنها: (بيان ما في الآيات من الدلالات، والارشادات، الموصلة للصراط المستقيم). أو بمعنى آخر: (استخراج الإرشادات من الآيات القرآنية، بدلالة ظاهرة أو خفية، وفق منهج علمي).

ثانيًا: مفهوم البناء لغة واصطلاحًا:

أ) مفهوم البناء لغة: مصدر بنا يبني بناء، ويستعمل مجازا في معان تدور حول التأسيس والتنمية"[4]، قال ابن منظور: "البَنْيُ نقيض الهدم. بنى البَنَّاءُ البِناء بَنْيا وبناء وبِنًى. وقد تكون البناية في الشرف. " قال ابن فارس: " الباء والنون والياء أصل واحد، وهو بناء الشيء بضم بعضه إلى بعض"[5].

ب) مفهوم البناء في الاصطلاح: عرفه الكَفوي بأنه: "وضع شيء على شيء على صفة يراد بها الثبوت"[6].

وعلى هذا فأركان بناء الإنسان: (هي ما يقوم عليه بناء الإنسان من أساسات ودعائم، تُقوِّي فيه صفة الاستقرار والثبات على الإيمان).

ثالثًا: مفهوم الإنسان لغة واصطلاحًا

مفهوم الإنسان لغة: جاء لفظ الإنسان لغة مشتق من أربعة معان:"الأِنس: البشر، الواحد إنْسِيٌّ وأَنَسِيٌّ أيضًا بالتحريك، والجمع أَناسِيٌّ"[7]، والنسيان: وهو قول أغلب الكوفيين، وقد أشار الراغب إلى أصل هذا التوجيه اللغوي فقال:" سمي بذلك لأنه عهد الله إليه فنسي"[8]. والإيناس: وهو الإبصار وهو قول جمهور البصريين، يقال آنست الشيء إذا أبصرته[9]. والنوس: بمعنى الحركة، وسمي كذلك لتحركة في المسائل العظام[10].

وفي الاصطلاح: اسم جنس لكائن حي مفكر قادر على الكلام المفصل والاستنباط والاستدلال العقلي، يقع على الذكر والأنثى من بني آدم، ويطلق على المفرد والجمع"[11].

رابعًا: مفهوم الأركان لغة واصطلاحاً:

الركن لغة: من كل شيء جانبه الأقوى الذي يستند إليه، والأمر العظيم. وللرجل: ما فيه عزة ومنعة. وفي القوم: الشريف بينهم. وأركان الإنسان جوارحه، والأركان من كل شيء: جوانبه التي يستند إليها[12].

(4) معجم اللغة العربية المعاصرة، د. احمد مختار عبدالحميد عمر 250/1.

(5) مقاييس اللغة، إبن فارس 281/1.

(6) الكليات، الكفوي، 341.

(7) انظر: العين للفراهيدي، 275/7، والصحاح، للجوهري 904/3.

(8) المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني ص 94.

(9) الإنصاف في مسائل الخلاف، أبو البركات الأنباري 669/2.

(10) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي 32/2.

(11) انظر: المحيط في اللغة، لابن عباد، 388/8، ومعجم اللغة العربية المعاصرة 130/1.

(12) الصحاح، للجوهري مادة زَكَنَ 5 /26 21، ولسان العرب، لابن منظور، مادة زكن 1 /1219، ومختار الصحاح، للرازي، مادة زكن ص 255.

والركن في الاصطلاح: ما يقوم به ذلك الشيء من التقوم"[13]، وقيل ركن الشيء: "ما توقف الشيء على وجوده وكان جزءٌ من حقيقته"[14].

المبحث الأول: هدايات بناء الإنسان

أنزل الله تعالى كتابه هداية للناس، ونور مبين، ينير طريق الهُدى ويظهر به الطريق واضحًا للسائرين، وتبدو الحقيقة واضحة للعيان، فتنكشف الظلمات، كما قال تعالى: (يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ) [المائدة: ١٦]، وقال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا) [النساء: ١٧٤]، قال الرازي:" وسماه نورًا لأنه سبب لوقوع نور الإيمان في القلب"[15]. وسَمَّى الله تعالى كتابه روحًا يهدي به الله من يشاء إلى صراطه المستقيم، فقال تعالى: (وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ) [الشورى: ٥٢]، فالروح مادة الحياة التي بها تدب الحياة في جسد الإنسان، قال السعدي: " سمَّاه روحًا؛ لأن الروح يحيا به الجسد، والقرآن تحيا به القلوب والأرواح "[16]. وفرَّق الله تعالى بين الناس باتبّاع كتابه، فوصف من أخذ به بالحياة، ووصف غيره بالموت فقال جل وعلا: (أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ) [الأنعام: ١٢٢].

والناظر في كتاب الله تعالى يجد في ثناياه هدايات متعددة لأجل الإنسان، تعمل على تقويمه وتهذيبه وتنبيهه لما خُلِق لأجله، فإذا عرف الإنسان ذلك هانت عليه نفسه في ذات الله، وعمل على مرضاه ربه من خلال تحمله للإمانة التي حملها، وسعى في فهم أساسات التكليف فعمل على عمارة الدنيا والآخرة.

والهدايات وردت في الكتاب الكريم بصور متعددة فمنها:

أولاً: هداية خلق الإنسان

لا يشك عاقل أن الإنسان الذي خلقه الله تعالى بيده، وأسجد له ملائكته، وفضَّله على كثير من الخلائق، إنما خُلق لحكمة، وقد بيَّن الله عز وجل ذلك في كتابه فقال: (وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [الذاريات: ٥٦]، والمعنى: أنَّ الله خَلَقَهم لعبادته فلا يستحق العبادة الا هو، وقيل معناه لآمرهم بعبادتي وأبتليهم أي أختبرهم بالتكاليف، ثم أجازيهم على أعمالهم. فهذه الغاية الكبرى، التي خلق الله الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادة الله وترك ما سواه، قال الشافعي: "خلق الله تعالى الخلق لعبادته"[17]. فأخبر سبحانه أنه إنما خلقهم للعبادة وأرسل الرسل وأنزل الكتب لبيان طريق الحق، وقال منكرًا على من يدعي العبث في خلقه: (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ) [المؤمنون: ١١٥]، ففي الآية تذكير أن الإنسان ما خُلق عبثًا؛ وإنما خُلق لغاية وهدف محدد، وفي بعض الآيات أن حكمة خلقه سبحانه للسماوات والأرض وما بينهما، إعلام خلقه بأنه قادر على كل شيء، وأنه محيط بكل شيء علمًا، قال تعالى: (ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا) [الطلاق: ١٢]، وبيَّن سبحانه في آية أخرى أن غاية الخلق الابتلاء في هذه الدار؛ فقال تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ) [هود: ٧]،

(13) التعريفات، الجرجاني ص 117.

(14) انظر: أصول الفقه الإسلامي، الزحيلي ص 314 – 315.

(15) مفاتيح الغيب، الرازي 274/11.

(16) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص 272.

(17) كتاب الأم، للشافعي 159/4.

ليتبين من أطاعه ومن عصاه، فلكل واحد منهم جزاء كما قال تعالى: (إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ) [يونس: ٤].

وقد يظن البعض أن هناك اختلاف بين الآيات الكريمات في هدف الخلق وحكمته، والصحيح خلافه، فكل آية تدل على الأخرى وتُسلم إليها، قال الشنقيطي: "فقد يظن غير العالم أن بين هذه الآيات اختلافا مع أنها لا اختلاف بينها، لأن الحكم المذكور فيها كلها راجع إلى شيء واحد، وهو معرفة الله وطاعته ومعرفة وعده ووعيده"[18].

فالهدف الأصلي هو العبودية لله، أما العلم والامتحان وأمثالهما فهي أهداف ضمن مسيرة العبودية. فإذا عَلِم الإنسان الهدف من خلقه؛ تَسَنَّى له العمل ليُرضي خالقه، وسعى بكل ما أوتي من قوة لتنفيذ أهداف خلقه في الدنيا والآخرة، فلقي يوم الدين حصاد ما عمل.

ثانياً: هداية الرعاية والتكريم.

من المعلوم أن الإنسان أعز مخلوق في الوجود، وقد تعهَّده سبحانه وتعالى بالعناية والرعاية، ووضع له أسس المناهج السديدة، التي إن عمل بها أفلح ونجح، وإن تنكبَّها خاب وخسر.

وقد فصَّل القرآنُ الحديثَ عن الإنسان خلقًا وإيجادًا ورعايةً وهدايةً. إذ بدأ سبحانه بمراحل خَلْقه، إلى أن أصبح جنينًا، ثمّ بيان مظاهر عناية الله به من مرحلة الطفولة، ثمّ هدايته، وما يتطلّع إليه في المستقبل، كما بيّن اللهُ في الآيات حالَ الإنسان عند الموت، والبرزخ، والبعث، إلى حين استقراره في مقامه الأخير في أَحَد الدارين. فقوله تعالى:(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ) [الأعراف: ١٧٢]، يشير إلى أن الإنسان محاط برعاية الله تعالى من قبل خَلْقه، فقد جاء في معنى الآية: «واذكر ـ أيها النبي ـ إذ استخرج ربك أولاد آدم من أصلاب آبائهم، وقرَّرهم بتوحيده بما أودعه في فِطَرِهم من أنه ربهم وخالقُهم ومليكهم، فأقرُّوا له بذلك»(1). ثم بيانُ رحلة الإنسان من طور الجنين إلى المستقرّ الأخير؛ فقد خلق اللهُ الإنسانَ في أجمل صورة، وأحسن تقويم، وأعدل قوام؛ إذ جعل الله بقدرته وتدبيره الطينَ بشرًا، مُدرِكًا، مُفكِّرًا، سميعًا، بصيرًا، وخلق له زوجه، وجعله متناسلًا، وجعل نسلَه من ماءٍ مهين، وخلقه في أطوارٍ متعددة، وكلُّ ذلك من الرعاية؛ قال الله تعالى:(وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ) [المؤمنون: ١٢–١٦].

- ثم جعل حياته في مراحل متعاقبة؛ من طفولة وشباب وكهولة وشيخوخة، وفترات ضعف وقوّة، وجعل له أجلًا مسمًّى، يقول تعالى: (هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [غافر: ٦٧].
- وفي سياق تكريم الله له ورعايته قال:(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) [الإسراء: ٧٠].
- ومن دلائل التكريم والرعاية أن الحق سبحانه خلق الكون كله بكلمة (كُنْ) إلا آدم خلقه بيده، فكل ما في الوجود مُسخَّر للإنسان قبل أنْ يوجد؛ لأن مخلوقات الله تعالى إما خادم وإما مخدوم، والإنسان مخدوم من كل أجناس ومخلوقات الكون حتى من الملائكة.

ثالثاً: هداية السمات الخاصة بالإنسان.

وهب الله تعالى الإنسان سماتًا خاصة تُميِّزه عن سائر ما خلق، وهذه السمات تتَّسق مع المهمة الموكلة إليه من خلافة الله في أرضه، كالعلم والعقل والبيان والجمال، وكثير منها مُبينة في كتابه الكريم ضمن إشارات الهدايات، وفيما يأتي بيان عددٍ منها:

(18) أضواء البيان، الشنقيطي 448/7.

أولًا: سمة العلم: كرم الله بالعلم الإنسان، وميزه به عن سائر مخلوقاته تفضلًا منه إذ قال الله تعالى: (عَلَّمَ ٱلْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) [العلق:٥]، فعلَّم الله عباده ما لم يعلموه، وأخرجهم من الظُّلمات إلى النُّور والهداية، وقال أيضًا في حق نبيّه صلى الله عليه وسلم: (وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا) [النساء: ١١٣]. قال ابن القيّم: "العلم هاد، وهو تركة الأنبياء وتراثهم، وأهله عصبتهم وورّاثهم، وهو حياة القلوب، ونور البصائر، وشفاء الصّدور، ورياض العقول، ولذّة الأرواح، وأنس المستوحشين، ودليل المتحيّرين، وهو الميزان الّذي به توزن الأقوال والأعمال والأحوال. وهو الحاكم المفرّق بين الشّكّ واليقين، والغيّ والرّشاد، والهدى والضّلال. به يعرف الله ويعبد، ويذكر ويوحّد، ويحمد ويمجّد، وبه اهتدى إليه السّالكون"[19].

ثانياً: سمة البيان: خصّ الله سبحانه الإنسان بالقراءة والبيان، إذ قال تعالى: (خَلَقَ ٱلْإِنسَانَ * عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ) [الرحمن: ٣–٤]، فَيَسَرَّ على الإنسان النُطق والبيان والإفهام حتى يتم التواصل بين الناس وتحسُن العلاقات، قال ابن كثير: " البيان قال الحسن: النطق، وقال الضحاك، وقتادة، وغيرهما: يعني الخير والشر. وقول الحسن ها هنا أحسن وأقوى؛ لأن السياق في تعليمه تعالى القرآن، وهو أداء تلاوته"[20] وقال الألوسي: {عَلَّمَهُ البيان} أي النطق؛ لأن البيان هو الذي به يتمكن عادة من تعلم القرآن وتعليمه، والمراد به المنطق الفصيح المعرِب عما في الضمير"[21].

ثالثاً: سمة الجمال: من أبرز سمات الإنسان التي نَوَّهَ بها القرآن الكريم، للدلالة على قدرة الله تعالى وإبداعه، ويمتنَّ الله به على عباده، فيقول تعالى: (خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ) [التغابن: ٣]، وقال جل وعلا: (لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) [التين: ٤]، (ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ * فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ) [الإنفطار: ٧–٨]، فالتسوية التامة للإنسان، هي النقطة الأساسية، التي ينطلق منها جماله، لأن عدم الخلل والنقص في بنيته، دليل على جماله، وقد خلق الله الإنسان فبلغ به من الإحسان والإتقان ما بلغه؛ ولذا يقول الإمام القرطبي: "قال ابن العربي: ليس لله تعالى خلق أحسن من الإنسان، فإنَّ الله خلقه حيًا، عالماً، قادرًا، مريدًا، متكلمًا سميعًا، بصيرًا، مُدبِّرًا، حكيمًا، وهذه صفات الرب سبحانه... فهذا يدلك على أن الإنسان أحسن خلق الله باطنًا وظاهرًا"[22].

رابعاً: سمة العقل: أشرف صفات الإنسان، إذ به تُقبل أمانة الله، وبه يُتوصل إلى جوار الله، ولقد شرَّف الله الإنسان وكرمه على سائر المخلوقات بهذه النعمة، وجعل ذلك مناطًا للأمر والتكليف، ولذا فليس غريبًا أن يوجد في كتاب الله عشرات الآيات التي تدعو إلى التفكر والتعقل، والنظر في ملكوت الله سبحانه،

مثل قوله عز وجل: (إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ) [آل عمران: ١٩٠]. فقد امتدح الله الذين يستعملون عقولهم فيما أراده الله منهم من التفكر فيما صنعت يد الله، قال الزمخشري في وصف أولي الألباب: " الذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار، ولا ينظرون إليها نظر البهائم غافلين عن عجائب الفطرة"[23].

رابعًا: هدايات التنمية الفكرية للإنسان.

لقد خلق الله الإنسان وزوده بطاقات فكرية جبارة قادرة على النظر والتفكير في شتى مجالات الحياة، فنصوص الوحيين التي تحض على استخدام العقل لا تُعد ولا تُحصى، فهو الكتاب الوحيد الذي يحترم عقل الإنسان، ولهذا تجد القرآن يحث دائمًا على بناء القدرات المعرفية والعقلية، من خلال التدبر والتفكر، قال الغزاليُّ: "كثر الحثّ في كتاب الله تعالى على التّدبّر والاعتبار والنّظر والافتكار، ولا يخفى أنّ الفكر

---

(19) مدارج السالكين، ابن القيم 469/2.

(20) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير 489/7.

(21) روح المعاني، الألوسي/353.

(22) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي 114/2.

(23) الكشاف، للزمخشري، 1/ 452.

هو مفتاح الأنوار ومبدأ الاستبصار وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم، وأكثر النّاس قد عرفوا فضله ورتبته لكن جهلوا حقيقته وثمرته ومصدره"[24]، فالمتأمّل لآيات الكتاب يلاحظ أنها تسعى إلى تنمية فكر الإنسان من خلال الآتي:

أولًا: تنمية القدرات العقلية واستخدام وسائل الإدراك والمعرفة، من خلال النظر إلى الكون المنظور بعمق وتأمل، قال تعالى: (قُلْ سِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ) [الأنعام: ١١]، فكأن النظر والتدبر هو المراد من السير، وعليه أن يتفكر في أثناء ذلك، والمقصود أن يأخذ الإنسان العبرة مباشرة مما يرى وينظر. وقال تعالى أيضًا: (وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) [الأنعام: ٩٩]، فقوله: { ٱنظُرُوٓا }، أي: "فكروا في قُدْرة خالقه من العدم إلى الوجود، بعد أن كان حَطَبًا صار عِنبًا ورطبًا وغير ذلك"[25]، وقال أيضًا: (قُلِ ٱنظُرُوا مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ) [يونس: ١٠١]، قال في البحر المحيط: "أمر تعالى بالفكر فيما أودعه تعالى في السماوات والأرض، إذ السبيل إلى معرفته تعالى هو بالتفكر في مصنوعاته، ...كثيرًا ما ذكر الله تعالى في كتابه الحض على الفكر في مخلوقاته تعالى، ...والعاقل يتنبه لتفاصيلها وأقسامها"[26]. فإن ما في السماوات والأرض حافل بالآيات...لأن بين الفطرة البشرية وبين هذا الكون الذي نعيش فيه لغة خفية غنية! وأن هذه الفطرة تسمع لهذا الكون –حين تتفتح وتستيقظ – وتسمع منه الكثير! ... والمنهج القرآني ... يتكئ على ما في السماوات والأرض، ويستلهم هذا الكون؛ ويوجه إليه النظر والسمع والقلب والعقل"[27].

ثانيًا: إنهاء التبعية للغير: ولو كانوا أقرب المقربين، يقول تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ) [البقرة: ١٧٠]، وقال أيضًا: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ) [المائدة: ١٠٤].

قال الشوكاني: "وفي هذه الآية من الذم للمقلدين والنداء بجهلهم الفاحش واعتقادهم الفاسد ما لا يقادر قدره، ...وفي ذلك دليل على قبح التقليد، والمنع منه"[28].

ثالثًا: التوعية المستمرة من خلال النظر والتأمل فيما حدث سابقا للأمم التي قبلنا، قال تعالى: (قُلْ سِيرُوا فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ) [الروم: ٤٢].

رابعًا: تحرير الفكر واستئصال ما يعلق فيه من إشكاليات: وذلك بدعوة العباد إلى النظر لما في السماوات والأرض، والمراد بذلك: نظر الفكر والاعتبار والتأمل، لما فيها، وما تحتوي عليه، والاستبصار، قال تعالى (قُلِ ٱنظُرُوا مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ) [يونس: ١٠١]، فإن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون، وعِبَرًا لقوم يوقنون، تدل على أن الله وحده، المعبود المحمود، ذو الجلال والإكرام، والأسماء والصفات العظام"[29].

وقال أيضًا: (قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ) [يونس: ٣١]، وقال: (فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ) [يونس: ٣٢]، قوله: (فأنى تصرفون): قال الواحدي: "قال ابن عباس: يريد: كيف تصرف عقولكم إلى عبادة مالا يرزق ولا يحيي ولا يميت"[30].

(24) إحياء علوم الدين، الغزالي، 4/ 423.

(25) تفسير القرآن العظيم، 306/3.

(26) البحر المحيط، ابن حيان، 109/6

(27) في ظلال القرآن، سيد قطب 265/5.

(28) فتح القدير، الشوكاني 193/1.

(29) تيسير الكريم الرحمن، ص 374.

(30) التفسير البسيط، الواحدي 188/11.

خامسًا: تصحيح المفاهيم الخاطئة والتصورات الناقصة: فعلى الصعيد الفكري أخرج القرآن الكريم الإنسان من عالم الخرافات والجهل ليأخذ بيده إلى دنيا العلم والنور، قال تعالى: (وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ) [الأنعام: ١٣٨].

سادسًا: تحسين طريقة التفكير قال تعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا) [النساء: ٨٢]؛ لأن إدامة النظر وإطالة التدبر في هذا القرآن تطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرهما وعلى طرقاتهما، وأسبابهما، وغايتهما، وثمراتهما، ومآل أهلهما، وتثبت قواعد الإيمان في قلبه وتشيد بنيانه وتوطد أركانه. قال السعدي: "يأمر تعالى بتدبر كتابه، وهو التأمل في معانيه، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه، ولوازم، ذلك فإن تدبر كتاب الله مفتاح للعلوم والمعارف، وبه يستنتج كل خير وتستخرج منه جميع العلوم، وبه يزداد الإيمان في القلب وترسخ شجرته. "[31].

فالقرآن يدعو الإنسان إلى إعمال العقل والتفكير في العديد من الآيات؛ حيث يعلو الإنسان بعقله، ويصبح ذو تفكير منطقي سليم يحس بالمشكلات ويضع لها الحلول، قال تعالى: (قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۖ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ) [الملك: ٢٣]، وقال أيضا: (إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ) [الجاثية: ٣].

إن مخاطبة عقل الانسان ودعوته للتأمل في نفسه وما يحيط به من الموجودات والتي تدل دلالة واضحة على قضايا الاعتقاد والبناء الفكري والتمتع بما صنعت يد الله في محيطه. يقول تعالى: (أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ) [المؤمنون: ٦٨]، أي أفلا يتفكرون في القرآن ويتأملونه ويتدبرونه أي فإنهم لو تدبروه لأوجب لهم الإيمان. ومنها قوله تعالى: (أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡۗ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ) [الروم: ٨]، وبهذه الآيات الهاديات وأمثالها يكون القرآن قد لفت نظر الإنسان إلى كثرة النظر والتأمل ليخرج بنتيجة ما تعينه في تغيير نظرته للكون والحياة.

خامسًا: هداية التكليف والمسئولية.

لقد أكد القرآن الكريم مسئولية الإنسان عن أعماله وتصرفاته؛ من خلال التصور القرآني للإنسان بأنه مخلوق مكلَّف، وبخاصة في ميدان السلوك والتصرف. يبدو ذلك جلياً من بداية الخلق. فآدم أول ما خلقه الله تعالى وأدخله الجنة أعطاه حرية الاختيار، وأمره بسكنى الجنة، ونهاه عن الأكل من الشجرة، فلما خالف الأمر تحمل مسئولية خطأه. قال الله تعالى: (وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ) [البقرة: ٣٥–٣٦].

–ثم جاءت المرحلة الثانية من التكليف والمسئولية بخروجه من الجنة، وهبوطه للأرض، فقال تعالى: (قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢا بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ) [طه: ١٢٣]، ففي قوله تعالى: {اهبطا مِنْهَا جَمِيعاً}، هنا بداية تحمل المسئولية بالنسبة لآدم وذريته من بعده، في هذه اللحظة وهي لحظة الهبوط إلى الأرض...وفي قوله تعالى: {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى} فإما يأتينكم مني هدى بإرسال الرسل وإنزال الكتب فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى أي: لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة [32].

وفي قوله تعالى: (وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا) [الإسراء: ٣٦]، إشارة إلى مسؤولية الإنسان عما أعطاه الله من أدوات العلم والتعلم.

ومن خلال هدايات القرآن نجد أن المسئولية في كتاب الله لها جانبان:

(31) تيسير الكريم الرحمن 189.

(32) فتح القدير، 362/3.

مسؤولية شخصية، كقوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ) [الطور: ٢١].

ومسئولية جماعية كقول الله تعالى: (وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ) [الأنفال: ٢٥]، فالتكليف صفة جديرة بأن تكون الوصف المميز للإنسان، لأنها تتضمن خصائص إنسانية تنهض بمستوى الإنسان، لكي يكون أداة صالحة لبناء الحضارة الإنسانية وللتقدم البشري؛ ولذلك فإن الخطاب القرآني يركز على معنى التكليف والمسؤولية، كما يقول تعالى: (أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى) [القيامة: ٣٦]، أي مهملًا من التكليف والجزاء. فالإنسان مكلَّف، وهو في هذا عبد لله، يؤدي واجباته، كما أن التكليف يعطي معنى المسؤولية الشاملة كما قال تعالى: (وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَلَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ) [النحل: ٩٣]، وإن المجتمع الذي يستشعر أفراده هذا الحجم من التكليف والمسؤولية جدير بأن يكون مجتمعًا نظيفًا نقيًا يتواصى أفراده بالخير، ويعملون للنهوض بمجتمعهم، لكي يكون المجتمع الأمثل، الذي ينطلق من منطلق الوعي بالمسؤولية لبناء واقع سليم.

وبفضل خاصية التكليف يباشر الفرد المسلم مسؤوليته في بناء مجتمعه والدفاع عنه. فالتكليف هو معيار التقدم الإنساني، ومعيار التميز سواء على مستوى تميز

الإنسان عن الكائنات الحية الأخرى أو تميز الإنسان عن أخيه الإنسان، بالتزام قيم الخير والفضيلة التي تعتبر من أهم أهداف التكليف.

المبحث الثاني: أركان بناء الإنسان في هدايات القرآن.

يقدم القرآن الكريم لبناء الإنسان دعائم أساسية يقوم عليها البناء الصحيح، وهذا ما عبَّر عنه القرآن الكريم آياته، ولذا كان لا بد من بيان الدعائم الأساسية التي يقوم عليها بناء الإنسان فمنها:

الأول: العلم والإيمان.

قال تعالى: (نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ * مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ * وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ * وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ * فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ) [القلم: ١–٥]، بهذه الآيات وضع الله تعالى أهم معالم الرسالة الإسلامية الخالدة في عمومها وشمولها، مبينا أنها رسالة العلم والمعرفة والعقل، وهي أعظم نِعَم الله تعالى على الإنسان، وبهذه الآيات البينات وما تضمنته من الإشادة بالقراءة والكتابة والعلم، أبان الله أن المعرفة بوسائلها: من قراءة وكتابة وتعلم هي الأسلوب الأمثل لبناء الإنسان. وبهذه الآيات أعطيت الأمة مفاتيح الإصلاح والتقدم والرقي؛ لتعلم أنه لا إصلاح ولا مدنية ولا حضارة بغير علم ومعرفة، فالجهل وهو نقيض العلم لا يأتي إلا بالشر والفساد والتخلف، كما أن الهداية إلى معرفة الحق واعتناقه والحرص على إقامة معالمه والدعوة إليه لا يكون إلا مع العلم، ولا يكتب للعلم النمو والانتشار إلا إذا سجله القلم ونشره وأعلن عنه، فالآيات الخمس تشرح بكل جلاء الارتباط الوثيق بين العلم والإيمان وضرورة التلاحم بينهما؛ لبناء الصرح الإسلامي القويم، فأي خلل في أي جانب من جوانب هاتين الدعامتين سيؤدي حتما إلى اعوجاج الصرح وانهياره.

وفي الآيات بيان كيف ربط الله أعظم مفتاحين للمعرفة–القراءة أو الكتابة–باسمه الكريم، إيذانًا بوجوب الالتحام بين العلم والايمان. فالعلم طريق الإيمان: دل على ذلك قول الله تعالى: (فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ) [محمد: ١٩]، وقوله تعالى: (هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ) [إبراهيم: ٥٢]، لذلك خلق الله لنا أدوات العلم والمعرفة، وأرسل الرسل لتعليمنا، وأقام الحجج والآيات من حولنا؛ لتكون دليلًا وبرهانًا على صدق الإيمان به.

وإذا أراد الإنسان إيمانًا صحيحًا فعليه بالعلم، قال تعالى: (أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ) [الرعد: ١٩].

وقد عُطف العلم على الإيمان في مواضع عدّة من القرآن الكريم؛ فمنها قوله تعالى: (وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ) [الروم: ٥٦]. قال ابن عاشور: " وعطف الإيمان على العلم والاهتمام به؛ لأن

العلم بدون إيمان لا يرشد إلى العقائد الحق التي بها الفوز في الحياة الآخرة"[33]. فذكر العلم يتضمن الإيمان ولا يصف الله بعلم من لم يعلم كل ما يوجب الإيمان، ثم ذكر الإيمان بعد ذلك تنبيهًا عليه وتشريفًا لأمره؛ فنبَّهَ على مكان الإيمان وخصه بالذكر تشريفًا"[34].

ومن الآيات التي قُرِن فيها بين العلم والإيمان قوله تعالى: (يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) [المجادلة: ١١]. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "يرفع الله الذين أوتوا العلم من المؤمنين على الذين لم يؤتوا العلم درجات"[35]، وقال ابن رجب: "وهذا العلم النّافع يدلّ على أمرين: أحدهما: معرفة الله وما يستحقّه من الأسماء الحسنى والصّفات العلى والأفعال الباهرة، وذلك يستلزم إجلاله وإعظامه، وخشيته ومهابته، ومحبّته ورجاءه، والتّوكّل عليه والرّضا بقضائه والصّبر على بلائه. والأمر الثّاني: المعرفة بما يحبّه ويرضاه، وما يكرهه ويسخطه من الاعتقادات، والأعمال الظّاهرة والباطنة والأقوال"[36].

وقد جعل الله العلم معيارًا من معايير اختيار العباد للحكم، إذ يقول الله تعالى عن حكمة اصطفائه لطالوت ملكًا على بني إسرائيل: (إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ) [البقرة: ٢٤٧]، فلولا العلم لما كان هناك اصطفاء؛ لأنه سبب موصل إلى الطريق الصحيح للحكم بين الناس، وقال تعالى أيضًا: (وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ) [الحج: ٥٤]. فالعلم له فضائل عظيمة فلولاه لكان الناس كالبهائم، فبه يصبح الانسان إنساناً، قال ابن القيّم: "العلم هاد. وهو تركة الأنبياء وتراثهم. وأهله عصبتهم وورّاثهم، وهو حياة القلوب، ونور البصائر، وشفاء الصّدور، ورياض العقول، ولذّة الأرواح، وأنس المستوحشين، ودليل المتحيّرين"[37].

وحين نتأمل موقف الإسلام من العلم نجد ترابطًا وثيقًا بين العلم والإيمان فكلما أزداد الإنسان علمًا كلما أزداد يقينًا ومعرفة وخشية لله عز وجل، قال تعالى مبينًا أن العلماء هم أشد الناس خَشْيَة له ومعرفة بمقامه: (وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ) [فاطر: ٢٨]. وفي قوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ) [العنكبوت: ٦٩]، قال الرازي: "الذين نظروا في دلائلنا لنهدينَّهم سبلنا أي لنحصّل فيهم العلم بنا"[38]. وقال تعالى: (وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ) [سبأ: ٦]، وكأن المعنى الإخبار بأن أهل العلم يرون الوحي المنزل على محمد حقا وأنه يهدي إلى صراط الله " [39].

ولهذا يُعد العلم أساسًا في عناصر بناء الإنسان، فمن أين ستتكوّن هذه الشخصيّة وتُبنى إذا ما اجتهد الإنسان وبذل وسعه في تلقّي العلم في مجالِسِهِ وأماكنه، فلا قيمة للإنسان بغير علمٍ يُثري فِكره ويجعله مُلمًا بأمورِ دينه وأحكامه في جميع الأمور.

الثاني: الأخلاق.

بناء الأخلاق وتطهير السلوك مقصد من مقاصد القرآن الكريم التي سعى إلى بنائها في الإنسان، وهي من أساسات البناء الهامة، وحين نمعن النظر في كتاب الله نجد أن آيات كثيرة تضمنت ذكر صفات مهمة وقواعد ومبادئ أساسية، تهدف إلى تنظيم حياة الإنسان من حيث علاقته بربه أو علاقته بغيره، كما تبين هذه النصوص ارتباط الأخلاق بالعقيدة والعبادة والمعاملات وغيرها، ونحو ذلك. وقد أثنى الله –عزَّ

(33) التحرير والتنوير، ابن عاشور 131/21.

(34) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، 261/5.

(35) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، 322/14.

(36) فضل علم السلف على الخلف، ابن رجب، ص 150- 151.

(37) مدارج السالكين 439/2.

(38) مفاتيح الغيب، 3562/1.

(39) المحرر الوجيز، 4|406.

وجلَّ- على خُلُق عبده ورسوله وهو القدوة فقال: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) [القلم: ٤]، فهذه آية عظيمة بليغة، تحمل شهادة وتزكية وتكريمًا لخلق الرسول صلى الله عليه وسلم.

والآيات عن الأخلاق في القرآن لا تكاد تحصر، فكم من آية قَرَنت بين الإيمان من جهة، وبين أنواع من الأخلاق من جهة أخرى؛ كالإحسان في قوله تعالى: (وَاعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا) [النساء: ٣٦]، وكالبرّ في قوله تعالى: (لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ) [البقرة: ١٧٧]، فإذا تمعنا الآيات نجدها جمعت أمهات الأخلاق وتوصل للمنهج الأخلاقي في القرآن وتسعى للوصول بالإنسان إلى أعلى مستوى من الخلق القويم. قال الشنقيطي: " وهذا دليل واضح على كمال دين الإسلام، وحسن ما يدعو إليه من مكارم الأخلاق"[40].

وإذا تأملنا الآيات التي وردت في حفظ الضرورات، نجد أنها تحفظ أنواعًا من الخلق القويم، وتحرّم أخلاقًا مذمومة قبيحة، كقوله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) [الأعراف: ٣٣]، فتحريم الفواحش والنهي عن الإثم والبغي والظلم، فيه حفظ لتلك الضرورات، مع حفظ الأخلاق وصيانتها. وفي قوله تعالى: (خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ) [الأعراف: ١٩٩]، نلاحظ أن الله تعالى أَمَرَ بمراعاة مكارم الأخلاق ومداراة الناس[41].

وقد حثَّ القرآن على أنواع من الأخلاق كالمحبة والإخاء والإيثار وأمر بالتعاون على البر والتقوى كما دعا إلى التراحم والتسامح واحترام النظام، وبجوار ذلك حذر من الحسد والبغضاء والفرقة والتنازع والأنانية ....الخ.

فلو نظرنا الى آيات الصبر، وآيات الإحسان، ومثلها آيات البر والعدل والصدق والعفو والجود والعفاف ونحوها؛ نلاحظ أن كل هذا يشترك ويتعاون في بناء إنسان سوي متكامل الأخلاق، سويُّ الطبع، يحسن التعامل مع نفسه والآخرين. لذا يعتبر البناء الخلقي للإنسان وإصلاحه من أهم الجوانب التي أولاها القرآن رعاية وعناية؛ لأن إصلاح الأخلاق وتهذيبها وتتميمها وتطهير السلوك يعتبر من مهمات المقاصد الأصيلة للقرآن الكريم.

والخلاصة: أن القرآن الكريم، قد أهتم ببناء أخلاق الإنسان، من خلال الآيات الجامعة لمكارم الأخلاق، والآيات المفردة الخاصة ببعض الأخلاق، ومن خلال ارتباط الأخلاق بالجوانب العقدية والعبادية والاجتماعية وغيرها، إضافة إلى كثرة أقسامها وتعدد أنواعها.

الثالث: الهمة العالية.

حينما نزل القرآن الكريم كان الإنسان في وضع مهينٍ مزرٍ، فجاء الإسلام لكي يرفع من قيمته ويعلو بهمته إلى السماء، والملحظ هنا في آيات الكتاب وهداياته أنه يدعو الإنسان إلى الارتقاء بكل ما يملك من طاقات ومشاعر وأحاسيس إلى أعلى عليين، إذ يقول سبحانه: (وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) [آل عمران: ١٣٣]، فالمسارعة إلى الشيء: تعني المبادرة إليه بدون توانٍ ولا تراخ، وهذا يقتضي همَّة وعزيمة، فلا يصل إلى الجنان إلا من سبق وأخذ بالأسباب الموصلة إلى ذلك، ولهذا قال ابن القيم: "اعلم أن العبد إنما يقطع منازل السير إلى الله بقلبه وهمته لا ببدنه"[42]، وهكذا في قوله: (وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) [البقرة: ١٤٨]، قال ابن كثير: "ندب الله عباده إلى المبادرة إلى فعْل الخيرات، والمسارعة إلى

(40) أضواء البيان، 5/6.

(41) أحكام القرآن، الكيا الهراسي 18/3.

(42) الفوائد، ابن القيم 141/1.

نَيْل القُرُبات"[43]، هي دعوة لذي لهمة العالية للوصول إلى الخير الذي يوصل إلى رضوان الله؛ لأن الجنة المراد الوصول إليها عالية لا يبلغها إلاَّ السباقين للخير والهدى، قال ابن القيم: "فالكيِّس يقطع من المسافة بصحة العزيمة، وعلو الهمة، وتجريد القصد، وصحة النية مع العمل القليل أضعاف ما يقطعه الفارغ من ذلك مع التعب الكثير والسفر الشاق، فإن العزيمة والمحبة تذهب المشقة، وتطيب السير، والتقدم والسبق إلى الله سبحانه إنما هو بالهمم وصدق الرغبة والعزيمة، فيتقدم صاحب الهمة مع سكونه صاحب العمل الكثير بمراحل، فإن ساواه في همته تقدم عليه بعمله"[44].

وفي صفة الرجال الذين رضي الله عنهم قال تعالى: (رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ) [النور: ٣٧]، فهم رجال تركوا تجاراتهم لأجل الله أولئك أصحاب الهمم العالية والقلوب الحية؛ هممهم كانت معلقة بغير الدنايا التي يتهافت عليها الناس. فعلو الهمة من الأُسس الهامة في بناء الإنسان، وإليه يرجع مجموعة من الظواهر الخلقية، كالجدِّ في الأمور، والترفع عن الصغائر والدنايا، والطموح إلى المعالي.

وهكذا يبني القرآن الإنسان ويدعوه إلى الطموح ومعالي الأمور فقال سبحانه: (وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ ۚ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ) [الحج: ٧٨]، وحَقَّ جهاده تعني: ألاّ يدخر وسعًا إلا وبذله في سبيل الله. وهو القيام التام بأمر الله، ودعوة الخلق إلى سبيله بكل طريق موصل إلى ذلك، من نصيحة وتعليم وقتال وأدب وزجر ووعظ، وغير ذلك"[45]. وقال الرازي: "فكل ما أمر به ونهي عنه فالمحافظة عليه جهاد"[46]. وهذا كما هو معلوم يحتاج إلى عزيمة وإصرار، ولا يكون ذلك لأهل البطالة والكسل، وإنما لمن صدق مع الله وكانت همته بالثريا. وقوله (حق) "أفادت أنه تجمع فيه من الخلال ما تفرّق في الكل"[47].

وقال تعالى: (فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ) [الأحقاف: ٣٥]، فهذه الآية فيها ثناء على أصحاب الهمم العالية، وفي طليعتهم الأنبياء والمرسلون... وقد تجلت همتهم العالية في مثابرتهم وجهادهم ودعوتهم إلى الله عز وجل، كما أوضحه الله عز وجل في قصص الأنبياء كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين"[48].

خاتمة البحث

أولًا: النتائج:

فمن أهم النتائج التي تمخضت عن هذا البحث:

-أن القرآن الكريم هو المنهاج الوحيد لبناء الإنسان؛ بناء يتناسب مع الحكمة من خلقه، وخلافته لله تعالى في الأرض.

-التمسك بقيم الهدايات القرآنية من أهم عوامل تقدم الإنسان ورفع كفاءته، وهي التي تضمن للمجتمع الإنتاج والازدهار، والأمن والأمان.

(43) تفسير القرآن العظيم، 117/2.

(44) الفوائد، ابن القيم 142/1.

(45) تيسير الكريم الرحمن، ص 546.

(46) مفاتيح الغيب 255/23.

(47) محاسن التأويل، القاسمي 287/7.

(48) علو الهمة، محمد إسماعيل المقدم ١٢٨.

-للمنهاج القرآني خصائصه التي تفرد بها في بناء الإنسان، من حيث تركيزه على بيان الحكمة من خلق الإنسان، ورعاية الله له، وتكليفه للمهمات العظيمة.

-للعلم والإيمان الأثر الأكبر في بناء الإنسان، وتهذيب سلوكه، وقد جاءت العديد من الآيات تؤكد أن الإيمان سبب رئيس لتهذيب الأخلاق ورفع الهمة كذلك.

-أن من هدي القرآن الكريم وتوجيهاته الربط بين الإيمان والعلم والعمل الصالح، فالإيمان هو أصل الحياة الكبير ومنه تتفرع بقية فروع الخير، كمعرفة الغاية من وجود الإنسان في الأرض وهي تحقيق العبودية لله وحده، وتحقيق الشهود الحضاري في الأرض بالعمران وفق الهديِ الرباني.

-ظهر من خلال البحث مدى اهتمام القرآن بالحديث عن الإنسان بصور وأشكال مختلفة ومتنوعة.

-إن بناء الإنسان قائم بحسب القرآن الكريم على أساسات متينة من أهمها العلم والإيمان والأخلاق.

-أن القرآن الكريم قد حدد معالم تكوين الإنسان، التي تبني الإنسان عقديًا وفكريًا وفق الهدايات القرآنية، وقد تناول في منظومته مختلف المحاور التي تهدف إلى معالجة العقل والفكر والوجدان.

ثانيًا: التوصيات:

يرى الباحث أن يقدم بعض التوصيات، منها:

-ينبغي أن يكون البناء القرآني محور اهتمام كل إنسان؛ لحاجة الأمة إلى بناء متين في عصر المتغيرات.

-تربية الأجيال على القيم التي رسمها القرآن الكريم، وزرعها في نفوسهم، وتأصيلها في سلوكهم.

-توظيف وسائل الإعلام بما فيها وسائل التواصل الاجتماعي في تعزيز القيم القرآنية، ومحاولة إبراز أهميتها بين الحين والآخر، وضرورة المحافظة عليها، وعدم الغفلة عنها أبدًا.

المصادر والمراجع:

-أحكام القرآن، علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري، الملقب بعماد الدين، المعروف (بالكيا الهراسي) الشافعي (ت: 504هـ)، المحقق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 2، 1405هـ.

-إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: 505هـ) أبو حامد، دار المعرفة – بيروت. (د-ط)، (د-ت).

-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجَكَني الشنقيطي، (ت: 1393هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، (د-ط)، 1415هـ-1995م.

-كتاب الأم، محمد بن إدريس الشافعي (ت: 204هـ) أبو عبد الله، دار المعرفة، 1393هـ، بيروت، (د-ط)، (د-ت).

-البحر المحيط البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: 745هـ)، أبو حيان، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، (د-ط)، 1420هـ..

-تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد المشهور ب (التحرير والتنوير)، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ)، الدار التونسية للنشر -تونس، (د-ط)، 1984م.

-التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت: 816هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: 1، 1405هـ.

-تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: 774هـ)، أبو الفداء، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: 2، 1420هـ - 1999م.

-التفسير البسيط، علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: 468هـ)، أبو الحسن، تحقيق: أصل تحقيقه في (15) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط: 1، 1430هـ.

-التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية، ط: 2، 1430هـ - 2009م.

-تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت: 370هـ) أبو منصور المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: 1، 2001م.

-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: 1376هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط: 1، 1420هـ -2000م.

-جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الآملي، الطبري، (ت:310 هـ)، أبو جعفر، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: 1، 1420 هـ - 2000 م.

-الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: 2، 1384هـ - 1964 م.

-الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، دار الفكر – بيروت، (د-ط)، (د-ت).

-الفوائد، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (ت: 751هـ) أبو عبد الله، دار الكتب العلمية –بيروت، ط: 2، 1393هـ – 1973م.

-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، جار الله محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري (المتوفى: 538هـ)، أبو القاسم، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: 3 -1407هـ.

-الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني الكَفَوي، (ت:1094هـ)، أبو البقاء، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، (د-ط)، 1419هـ - 1998م.

-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي(ت:1270هـ) أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (د-ط)، (د-ت).

-علو الهمة، محمد إسماعيل المقدم، دار الإيمان للنشر والتوزيع، الإسكندرية-مصر، (د-ط)، 2004م.

-كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: 170هـ)

المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د-ط)، (د-ت).

- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: 1250هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط: 1 - 1414هـ.

-فضل علم السلف على الخلف، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (المتوفى: 795هـ)، تحقيق: محمد ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، ط: 5، 2010م.

-في ظلال القران، سيد إبراهيم قطب، (ت: 1966م)، دار الشروق، ط: 32، 1423هـ-2003م.

-مجموع الفتاوى، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: 728هـ) أبو العباس تحقيق أنور الباز -عامر الجزار، دار الوفاء، ط: 3، 1426 هـ- 2005م.

-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت: 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية -لبنان، ط 1، 1413هـ. 1993م.

-محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: 1332هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية– بيروت، ط: 1 - 1418 هـ

مختار الصحاح، زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: 666هـ) أبو عبد الله

المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط: 5، 1420هـ - 1999م.

-معالم التنزيل في تفسير القرآن، محيي السنة، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت:510هـ) أبو محمد، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط: 1 ،1420هـ.

-معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، (ت: 395هـ) أبو الحسين، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.

-معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: 1424هـ)، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط: 1، 1429 هـ - 2008 م.

-مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: 3، 1416 هـ - 1996م.

-مفاتيح الغيب المسمى (التفسير الكبير)، الإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي (ت: 606هـ)، دار الكتب العلمية -بيروت،1421هـ، ط: 1، 2000م.

-لسان العرب/ محمد بن مكرم بن على، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي (ت: 711هـ) أبو الفضل، دار صادر – بيروت، ط: 3 - 1414هـ.